

التمهيد

ويشتمل على:

١- الإمام الترمذى ومنزلة كتابه الجامع الصحيح.

٢- التوكيد فى الدرس البلاغى

التمهيد

أولاً: الإمام الترمذی ومنزلة كتابه الجامع

نسبه:

هو الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سهل بن سَورَة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذی الضرير^(١).

وقيل: هو محمد بن عيسى بن يزيد بن سَورَة بن السَّكَن، الحافظ العَلم، الإمام، البارِع، أحد الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث^(٢).

مولده ونشأته:

وُلد الترمذی - رحمه الله تعالى - في قرية بوغ من قرى ترمذ سنة ٢٠٩هـ - طاف البلاد، وسمع خلقاً كثيراً من الخراسانيين، والعراقيين، والحجازيين، وغيرهم.

وكان ذا عزم قوى في طلب العلم، وتحصيله من مظانه "ثقة اتفق على توثيقه"، قال عنه ابن حجر العسقلاني: "قال الحاكم أبو أحمد: سمعت عمران بن علان يقول: مات محمد بن إسماعيل البخاري ولم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم، والورع".

(١) قال السمعاني: "الناس مختلفون في كيفية هذه النسبة، بعضهم يقولون بكسرهما، والمتداول على لسان أهل تلك البلدة - وكنت أقمت بها اثني عشر يوماً - بفتح التاء وكسر الميم، والذي كنا نعرفه قديماً فيه كسر التاء والميم جميعاً، والذي يقوله المتوقون، وأهل المعرفة بضم التاء والميم، وكل واحد يقول معنى لما يَدَّيعه". كتاب الأنساب لأبي سعد عبد الكريم السمعاني، ت/ عبد الله عمر البارودي، ١/٤٥٩، ط١، دار الجنان بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م = وينظر: معجم البلدان، تأليف: ياقوت الحموي - فريد عبد العزيز الجندی، ٢/٣١، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م - وتذكرة الحفاظ، للإمام شمس الدين محمد الذهبي، ٢/٦٣٤، دار الكتب العلمية بيروت. بدون تاريخ أو رقم طبع.

(٢) ينظر: الثقات، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان، ت/ إبراهيم شمس الدين = تركي فرحان المصطفى، ٥/٥٠٢، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م - وسير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد الذهبي، ت/ علي أبو زيد = شعيب الأرنؤوط، ١٣/٢٧٠، ط٤، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين يوسف المزي، ت/ بشار عواد معروف، ٢٦/٢٥٠، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م - موسوعة رجال الكتب التسعة، د/ عبد الغفار سليمان البنداري - سيد كسردی حسن، ٣/٤٤٠، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

فكان يُضرب به المثل في الحفظ والضبط^(١)، وخير شاهد على ذلك ما روى عن الترمذى أنه قال: "كنت في طريق مكة، وكنت قد كتبت جزأين من أحاديث شيخ، فمرّ بنا ذلك الشيخ، فسألت عنه، فقالوا: فلان، فرحت إليه، وأنا أظن أن الجزأين معي، وإنما حملت معي في محملتي جزأين غيرهما شبههما، فلما ظفرت به سألته السماع فأجاب، وأخذ يقرأ من حفظه، ثم لمح فرأى البياض في يدي، فقال: أما تستحي مني، فقصصت عليه القصة وقلت له: إني أحفظه كله، فقال: اقرأ، فقرأته عليه على الولا، فقال: هل استظهرت قبل أن تجي إلَيَّ؟ قلت: لا، ثم قلت له: حدثني بغيره، فقرأ على أربعين حديثاً من غرائب حديثه، ثم قال: هات، فقرأت عليه من أوله إلى آخره، فقال: ما رأيت مثلك^(٢)."

ذكره ابن حبان في كتابه الثقات وقال: "كان ممن جمع، وصنف، وحفظ، وذاكر"^(٣) وقال عنه أبو سعد الإدريسي: "كان أحد الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث"^(٤).

"روى عن خلق، وعنه: محمد بن إسماعيل السمرقندي، وحماد بن شاکر، وأبو العباس المحبوبي، والهيثم بن كليب، وغيرهم كثير"^(٥).

"كف بصره في آخر حياته لكثرة بكائه خوفاً من ربه"^(٦).

شيوخه:

كان الإمام الترمذى - رحمه الله - دائم التنقل، والرحيل طلباً للعلم، ومن هنا كثر شيوخه الذين أثروا في تكوينه العقلي، ومنهجه في جمع الحديث، وتصنيفه، (فلقد تتلمذ لأبى عبد الله

(١) السراج المنير في ألقاب المحدثين، تأليف: سعد فهمي أحمد بلال، ص ٢٣١، ط ١، دار ابن حزم بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، لأبى المحاسن محمد بن على العلوى الحسيني، ت، د/ رفعت فوزى عبد المطلب، ١٥٧٩/٣، ط ١، مطبعة المدنى بمصر، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م. تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ت/ محمد نيار، ٢٤٩/٥، ط ٢، دار إحياء التراث العربى بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢) تهذيب التهذيب، ٢٤٩، ٢٤٨/٥ - وينظر: تذكرة الحفاظ ٦٣٥/٢ - وسير أعلام النبلاء ٢٧٣/١٣.

(٣) الثقات، ٥٠٢/٥.

(٤) التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، ١٥٧٩/٣.

(٥) لسان الميزان، للإمام شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني، ٣٧١/٧، ط ٣، مؤسسة الأعلمى، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

(٦) السراج المنير في ألقاب المحدثين ص ٢٣٢ - وينظر: تذكرة الحفاظ ٦٣٤/٢ - وتهذيب التهذيب ٢٤٩/٥.

محمد بن إسماعيل البخارى، وشارك معه فى شيوخه مثل: قتيبة بن سعيد البغلانى، وعلى بن حجر المروزى، وهناد بن السرى، وأبى كريب محمد بن العلاء الكوفيين، ومحمد بن بشار، ومحمد بن موسى البصريين، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى السمرقندى، وجماعة كثيرة من أهل العراق والحجاز^(١).

مؤلفاته:

الإمام الترمذى مؤلفات كثيرة منها:

١- الجامع الصحيح فى الحديث أحد الكتب الستة،

٢- الرباعيات فى الحديث،

٣- شمائل النبى - ﷺ -،

٤- كتاب التاريخ،

٥- كتاب العلل فى الحديث،

٦- كتاب الأسماء والكنى،

٧- كتاب الزهد،^(٢)

كل هذه المؤلفات تشهد له - رحمه الله - بسعة علمه، ورسوخ قدمه فى علم الحديث - خاصة - وهو العلم الذى عُرف به، وذاعت شهرته من خلاله.

وفاته:

"مات أبو عيسى الترمذى الحافظ بالترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشر ليلة مضت من رجب، سنة تسع وسبعين ومئتين"^(٣) وكان من أبناء السبعين، رحمه الله تعالى، وطيب ثراه.

(١) ينظر: الأنساب، ١/٤٦٠ - ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبى العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، ت، د/ إحسان عباس، ٢٧٨/٤ دار صادر بيروت بدون تاريخ، أو رقم طبع - والأعلام، تأليف: خير الدين الزركلى، ٦/٣٢٢، ط٩، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٩٠م.

(٢) السراج المنير فى ألقاب المحدثين ص ٢٣٢ - وينظر: الأنساب، ١/٤٥٩ - وتهذيب التهذيب، ٥/٢٤٨ - سير أعلام النبلاء، ١٣/٢٧٠ - ووفيات الأعيان ٤/٢٧٨ - الأعلام ٦/٣٢٢.

(٣) تهذيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، للإمام شمس الدين محمد الذهبى، ت/ محمد نغاعة - مسعد كامل -

أيمن سلامة، ٨/٢٤٩، ط١، الفاروق، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م - وميزان الاعتدال فى نقد الرجال،

لأبى عبد الله محمد الذهبى، ت/ على محمد البجاوى ٣/٦٧٨ دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

منزلة كتاب الجامع الصحيح للترمذی:

"اشتهر هذا الكتاب بسنن الترمذی، كما عُرف باسم جامع الترمذی، وتساهل بعضهم فأطلق عليه اسم الجامع الصحيح^(١)"، "وهو ثالث الكتب الستة في الحديث"^(٢).

يُروى عن الترمذی أنه قال: "صنفت هذا الكتاب، وعرضته على علماء الحجاز، والعراق، وخراسان فرضوا به، ومن كان هذا الكتاب في بيته فكأنما في بيته نبی يتكلم"^(٣).

وقال عنه الإمام الذهبي: "في الجامع علم نافع، وفوائد غزيرة، ورؤوس المسائل وهو أحد أصول الإسلام لولا ما كدره بأحاديث واهية بعضها موضوع، وكثير منها في الفضائل"^(٤)، وقال أيضاً: "جامعه قاض له بإمامته، وحفظه، وفقهه، ولكن يترخص في قبول الأحاديث ولا يُشدّد، ونفسه في التضعيف رخو.

وفي المنشور لابن طاهر: سمعت أبا إسماعيل شيخ الإسلام يقول: جامع الترمذی أنفع من كتاب البخاري، ومسلم، لأنهما لا يقف على الفائدة منهما إلا المتبحر العالم، والجامع يصل إلى فائدته كل أحد"^(٥).

"والجامع على أربعة أقسام: قسم مقطوع بصحته، وقسم على شرط أبي داود، والنسائي، وقسم أخرجه للضدية وأبان عن علته، وقسم رابع أبان عنه فقال: ما أخرجت في كتابي هذا إلا حديثاً قد عمل به بعض الفقهاء سوى حديث: "إن شرب في الرابعة فاقتلوه" وسوى حديث: "جمع بين الظهر والعصر بالمدينة من غير خوف ولا سفر"^(٦).

وجملة القول أنه قد تميز كتاب الجامع الصحيح للترمذی بأن جمع الصحيح وغيره، ويحسب له تعرضه للحكم على الحديث، وقد سبق صاحبه إلى مصطلحات حكمية هي (حسن صحيح، وصحيح غريب)^(٧) كما تعرض بالنقد إلى رجال الإسناد بالتجريح والتعديل مما يدل على براعة المؤلف وموسوعية كتابه في علوم الحديث رواية ودراية فضلاً عن الأحكام الفقهية التي شملها الكتاب.

(١) السراج المنير في ألقاب المحدثين، ص ٢٣٢.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، ١/٥٥٩، دار الفكر المكتبة الفيصلية - بدون تاريخ.

(٣) سير أعلام النبلاء، ١٣/٢٧٤ - وينظر: تذكرة الحفاظ ٢/٦٣٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٤.

(٥) السابق ١٣/٢٧٦، ٢٧٧.

(٦) السابق ١٣/٢٧٤، ٢٧٥ - وينظر: تذكرة الحفاظ ٢/٦٣٤، ٦٣٥.

(٧) ينظر: السراج المنير ص ٢٣٢.

شروح الجامع الصحيح:

نظراً لأهمية كتاب الجامع للإمام الترمذى تناوله كثير من العلماء بالشرح، والتعليق، والاختصار توسيعاً لدائرة الانتفاع به، وتأكيداً على عظم قيمته، ومن هذه الشروح، والمختصرات ما يلى :

- ١- شرح الحافظ أبى بكر محمد بن عبد الله الإشبلى المعروف بابن العربى المالکى ت/٥٤٦هـ، وسماه: عارضة الأحوذى فى شرح الترمذى.
- ٢- شرح الحافظ أبى الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى الشافعى ت/٧٣٤هـ، وسماه النفح الشذى، بلغ فيه نحو ثلثيه فى نحو عشر مجلدات، ولم يتمه، ثم كمله الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن حسن العراقى، ت/٨٠٦هـ.
- ٣- شرح زوائده على الصحيحين، وأبى داود لسراج الدين عمر بن على بن الملقن ت/٨٠٤هـ.
- ٤- شرح سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى الشافعى ت/٨٠٥هـ كتب منه قطعة ولم يكمله، وسماه: العرف الشذى على جامع الترمذى.
- ٥- شرح زين الدين عبد الرحيم بن أحمد بن النقيب الحنبلى، فى نحو عشرين مجلداً، وقد احترق فى الفتنة.
- ٦- شرح جلال الدين السيوطى، سماه: قوت المغتذى على جامع الترمذى.
- ٧- شرح الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن أحمد بن رجب الحنبلى ت/٧٩٥هـ.
- ٨- شرح الشيخ عبد الرحمن المباركفورى، سماه: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى.
- ٩- مختصر الجامع لنجم الدين محمد بن عقيل البالسى الشافعى ت/٧٢٩هـ.
- ١٠- مختصر الجامع لنجم الدين سليمان بن عبد القوى الطوخى الحنبلى ت/٧١٠هـ.
- ١١- مائة حديث منتقاة منه عوالى، للحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلى العلانى.
- ١٢- الإمام الترمذى والموازنة بينه وبين الصحيحين، للدكتور/ نور الدين عتر^(١).
- ١٣- صحيح سنن الترمذى للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى.
- ١٤- مختصر سنن الترمذى، للدكتور/ مصطفى ديب البغا.

رحم الله الإمام الترمذى، ونفع بعلمه.

(١) ينظر: كشف الظنون، لحاجى خليفة ١/٥٥٩- والسراج المنير فى ألقاب المحدثين ص ٢٣٤، ٢٣٥.

ثانياً: التوكيد فى اللغوى والبلاغى:

معنى التوكيد فى اللغة:

يقال: وكد العقد والعهد توكيداً أو ثقّه كأكدّه، الهمز لغة فيه، ووكد الرجل شده. والتوكيد بالواو أفصح من التأكيد بالهمز، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّقُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، ويقال: وكدت اليمين، والهمز فى العقد أجود، وتقول: إذا عقدت فأكد، وإذا حلفت فوكد.

وأكدّه تأكيداً وكده إشارة إلى أن الهمزة عن واو كما قاله أئمة الصرف، بل أنكر بعضهم فيه الهمزة بالكلية، كما نقله عبد اللطيف البغدادى فى اللمع الكافية^(١) وقال ابن فارس: "وكد كلمة تدل على شد وإحكام"^(٢).

(وحقيقة التوكيد: هى التحقيق^(٣)) فيه تزداد المعانى وضوحاً، ويتقرر أمرها فى الذهن.

التوكيد عند البلاغيين

لم يذكر البلاغيون التوكيد فى مبحث خاص ولم أجد عندهم اصطلاحاً خاصاً به غير ما اعتبروه من معناه اللغوى السابق إلا أن تعرضهم للتوكيد كان من حيث توجيه الضوء على فائدته وأغراضه ومراتبه ومقاماته وبلاغته فى مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما جرت بحوث حول وقوعه فى القرآن والسنة من عدمه.

(١) ينظر: مادتا وكد، وأكد فى كل من: تاج العروس، للزبيدي، ط دار الفكر بدون تاريخ، أو رقم طبعة - تهذيب اللغة، لأبى منصور الأزهري، ت، / على حسن الهلالى، مراجعة / محمد على التجار، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة. مطابع سجل العرب - بدون تاريخ، أو رقم طبعة - لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبد الله على الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلى، طبعة دار المعارف القاهرة - مختار الصحاح، للإمام محمد بن أبى بكر الرازى، مطبعة الحلبي - مصر - بدون تاريخ، أو رقم طبعة = والآية من سورة النحل، بعض آية رقم (٩١).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، ت/ عبدالسلام محمد هارون - باب الهمزة والكاف وما بينهما - ط ٢، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر ١٩٧٢م.

(٣) ينظر: عروس الأفراح، لبهاء الدين السبكي، ضمن شروح التلخيص، ١/ ٢٢١ - دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

الغرض من التوكيد:

للتوكيد أغراضه، ودواعيه التى من أجلها يُؤتى به فى الكلام، قال الزركشى: "إنما يُؤتى به للحاجة للتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب ساذجاً أُلْقِيَ إليه الكلام خالياً عن التأكيد، وإن كان متردداً فيه حسن تقويته بمؤكد، وإن كان منكراً وجب تأكيده"^(١).

وقال الزبيدي: "قال أبو العباس: التوكيد دخل فى الكلام لإخراج الشك عن الأعداد لإحاطة الأجزاء"^(٢). "وجدوى التوكيد أنك إذا كررت فقد قررت المؤكّد وما علق به فى نفس السامع، ومكنته فى قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجت، أو توهمت غفلة وذهاباً عما أنت بصدده فازلتها"^(٣).

فعرض الكلام مصحوباً بأسلوب أو أكثر من أساليب التوكيد يعكس اهتمام المتكلم به، وعنايته بأمره، ومن ثم ينسحب هذا الاهتمام، وتلك العناية منه إلى السامع، فيرسخ المعنى المراد فى ذهنه، ويتعامل معه حسب ما يقتضيه.

(ولا يراد الكلام مؤكداً أسباب يمكن حصرها فى أمور هى: ١- إنكار المخاطب أو شكه. ٢- تنزيله منزلة المنكر، أو الشاك. ٣- إنكار غير المخاطب، أو شكه. ٤- كون الخبر غريباً أو مهماً عند المتكلم)^(٤).

مراتب التوكيد:

ليس للتوكيد درجة ثابتة، أو حالة واحدة يتبعها كل متكلم فى كل مقام يستدعى منه أن يؤكد كلامه، "فمقام الكلام ابتداءً يغير مقام الكلام بناءً على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار"^(٥) (ولذا يتفاوت التأكيد بحسب تفاوت الإنكار قوة

(١) البرهان فى علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد عبد الله الزركشى ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ٣٩٠/٢ ط ٣ مكتبة التراث القاهرة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م - وينظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ٢٢٠/١.

(٢) تاج العروس، مادة: [وكدا].

(٣) تاج العروس، مادة: [وكدا].

(٤) ينظر: الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية، د/ عز الدين السيد، ص ٧٩، ط ١، دار اقرأ، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(٥) مفتاح العلوم، للسكاكى، ت/ نعيم زرزور، ص ١٦٨، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

وضعفا ، فإن وقع الإنكار فى الجملة كفى فيه تأكيد يقاومه فى إزالته، وإن بُولغ فى الإنكار بُولغ فى التأكيد لإزالته وذلك كما قال تعالى حكاية عن رُسل عيسى - عليه السلام- إذ كُذِّبُوا فى المرة الأولى: "إنا إليكم مرسلون" وفى المرة الثانية: "ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون"، ولا شك أن التأكيد فى قول الاثنين الأولين فى المرة الأولى: "إنا إليكم مرسلون" أدنى من التأكيد فى قول الثلاثة فى التكذيب الثانى: "ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون"، ولا يلزم كون التأكيد على قدر الإنكار فى العدد بل أن يقوى بقوته، ويضعف بضعفه^(١).

وإخراج الكلام على هذه الكيفية إخراج له على مقتضى الظاهر، وكثيراً ما يخرج على خلافه، فيُنزل غير السائل منزلة السائل، فيؤكد الكلام معه استحساناً، ويُجعل غير المنكر كالمنكر فيُلقي إليه الكلام مؤكداً على سبيل الوجوب بتأكيد قوى، أو ضعيف حسب ما يقتضيه الحال إذا راعاه المتكلم .

وكذا يجعل المنكر كغير المنكر فلا يؤكد معه الكلام، وقد اجتمع هذان الأمران - تنزيل المنكر منزلة غير المنكر، وعكسه - فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِيَّاكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ * ثُمَّ إِيَّاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعُونَ أَكْدَتِ الْإِمَامَةِ تَأْكُدِينَ ولم تُنكر لتنزيل المخاطبين لتماميهم فى الغفلة منزلة من ينكر الموت، وأكد إثبات البعث تأكيداً واحداً وإن كان أكثر إنكاراً لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بالإنكار، ويتردد فيه، حتا لهم على النظر فى أدلته الواضحة^(٢).

أساليب التوكيد وطرقه:

"الأساليب العربية - بعد المظاهر العامة للتقرير - تتكى على ركائز من أدوات ظاهرة، أو أدوات مقدرة، أو أنواع من التأليف تُحسب كلها وسائل هامة تفيدنا اهتمام المتكلم بالخبر الملقى، أو الطلب المرغوب، وتزيل من حوله الأسباب الظاهرة، أو المحتملة من الشن والجحد تثبيتهاً له فى عقول المخاطبين والبيان النبوى الكريم يُكثر من استعمال هذه الخصائص حول أخباره، وإنشاءاته ليحقق المنشود، ويبلغ المراد من دعوته"^(٣).

(١) ينظر: مفاتيح العلوم ص ١٧٠، ١٧١ - الإيضاح، للخطيب القزوينى، ت، د/ محمد عبد المنعم خفاجى،

١/٦٩-٧١، ط ٣ دار الجليل، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م - شروح التلخيص ١/٢٠٥-٢٠٧.

(٢) ينظر: مفاتيح العلوم ١٧١-١٧٥ - الإيضاح ١/٧٢-٧٦ - شروح التلخيص ١/٢٠٩ وما بعدها-

(٣) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية، ص ٧٩.

وللتوكيد طريقه التى يُؤدى بها وهى كثيرة ومتعددة، فمنه ما يكون بأداة معينة، منها ما يخص الجملة الاسمية نحو (إِنَّ وَأَنَّ المشدّتان - إِنْ وَأَنْ المخففتان - لام الابتداء - كَأَنَّ - لكن - أمّا - حروف التنبيه - الحال المؤكّد لمضمون الجملة الاسمية).

ومنها ما يخص الجملة الفعلية وهى (نونا التوكيد - قد - لن - السين وسوف - اللام الداخلة على جواب لو، ولولا - لام الجحود - القسم وهو مشترك بين الاسمية والفعلية وإن كان أكثر ما أكّد به فى جامع الترمذى هو الجملة الفعلية ومن ثم جعلته ضمن مؤكّلاتها مع عدم إغفال توكيده للجملة الاسمية على ما سأوضحه فيما بعد إن شاء الله تعالى).

ومنهما ما يؤكّد به بعض الجملة نحو (التوكيد المعنوى - التوكيد اللفظى - المصدر المؤكّد لعامله - النعت - البدل - النداء بيا أيها - حروف الصلة أو الزيادة).

ومن التوكيد ما يكون بغير أداة إذ قد يحصل عن طريق مسائل علم المعانى، وقد يكون سبيله طرق التصوير البيانى فى علم البيان، وقد يحصل عن طريق بعض فنون البديع، وقد يتم عن طريق الإشارات أو الأفعال الصادرة من المتكلم.

وقوع التوكيد فى القرآن والسنة:

تباينت المذاهب، واختلفت الآراء حول وقوع التوكيد فى القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، (فجمهور الأمة على وقوعه فيهما، وقال قوم: ليس فيهما تأكيد ولا فى اللغة).

واعترض الملحدون على القرآن والسنة بما فيهما من التأكيدات، وأنه لا فائدة فى ذكرها، وأن من حق البلاغة فى النظم إيجاز اللفظ، واستيفاء المعنى، وخير الكلام ما قل، ودل، ولا يُمل، والإفادة خير من الإعادة،

وظنوا أنه إنما يجئ لقصور النفس عن تأدية المراد بغير تأكيد، ولهذا أنكروا وقوعه فى القرآن، والسنة، واللغة أيضاً،

وأجيب: بأن القرآن نزل على لسان القوم، وفى لسانهم التأكيد، والتكرار، وخطابه أكثر، بل هو عندهم معدود فى الفصاحة والبراعة، ومن أنكر وجوده فى اللغة فهو مكابر إذ لولا وجوده لم يكن لتسميته تأكيداً فائدة، فإن الاسم لا يوضع إلا لمسمى معلوم^(١).

(١) ينظر: البرهان ٢/٣٨٤.

وكما أجيبَ على المعترض بأن القرآن الكريم نزل بلسان القوم، وفي لسانهم التأكيد والتكرار، فكَذلك السنة النبوية مصدرها النبي -ﷺ- وهو ليس بدعاً من القوم، ولا مختلفاً عنهم، بل هو أفصحهم وأعلام بياناً ومراعاة لحال مخاطبيه، خاطب القوم بما ألفوه من سنن القول، فجاء كلامه -ﷺ- مشتملاً على أسلوب التوكيد، وغيره من الأساليب التي درج القوم على استعمالها مما سأعرض له في الفصول التحليلية القادمة بعون الله تعالى.

• • • • •